

مدخل علم الآثار
المحاضرة الخامسة
المرحلة الأولى
(الطبقة الاثرية والادوار الحضارية)

الطبقة الاثرية والادوار الحضارية ومفهوم التنقيب الاثري :-

يتكرر في علم الآثار والتنقيبات الاثرية التي قلنا انها تمد المؤرخين بمصادرهم الاولى عن تاريخ الحضارات مصطلح الطبقة الاثرية والادوار الحضارية ويتوقف على معاني هذه المصطلحات ضبط تسلسل الادوار التاريخية .

اما الطبقة الاثرية في عرف المنقبين فتعني دور بنائها او دور سكنى سواء كان البناء من جدران او تباليط تابعة لها ام انه مجرد ارضيات ترابية او طينية كما في بقايا المستوطنات المكونة من الخيام والاكواخ او الملاجئ الجبلية والكهوف كما في عصور ما قبل التاريخ البعيدة .

ويطلق المنقبون ايضا مصطلح الطبقة الاثرية الثانوية التي هي دور بنائي ثانوي نشئ من التغييرات او التجديدات في البناء الذي قلنا انه يولف الطبقة الاثرية الرئيسية مثل ازالة بعض الجدران وتجديدها او تجديد التباليط او اضافة بعض المرافق.

اما الدور الحضاري فانه حقبة زمنية قد تدوم بضعة قرون وتتألف في المواضع الاثرية من عدة طبقات بنائية أي طبقات اثرية ويتميز الدور الحضاري بآثاره الخاصة المميزة وطرزه المعمارية الخاصة مثل الاواني الفخارية واطرزة المنحوتات والنقوش وغيرها وبأشكال الخطوط وحتى التعبيرات اللغوية التي يجدها المختص في وثائقه المدونة أي ان الدور الحضاري يمثل جملة خصائص حضارية في تاريخ القطر المبحوث في حضارته وتاريخه كما انها تتضمن تبادلات ثقافية مثل الاختراعات الجديدة وقد يكون الدور الحضاري مصحوبا بتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية وعلى هذه الاسس يقسم المؤرخون التاريخ الى ادوار متميزة .

وفي التنقيبات يمثل الدور الحضاري في الموضع الاثري عدة المنقبون، احتوت مدينة الوركاء الشهيرة على 18 دورا بنائيا تتوزع على اربعة ادوار او عصور حضارية رئيسية منذ اقدم زمن استوطن فيه الانسان هذا الموضع وهو دور العبيد ثم دور الوركاء وجمدة نصر وادوار عصر السلالات الثلاثة .

مفهوم التنقيب الاثري وأهدافه:-

يعتبر التنقيب عن الآثار احد الوسائل الرئيسية وابرزها في علم الآثار، والذي من خلاله يتم جمع اللقى والتحف الأثرية على مختلف انواعها وموادها، من ابنية وفخار ونقود وحلي وغيرها، ولقد تطور مفهوم التنقيب الأثري عبر مرحلتين، الاولى ساد فيها المفهوم القائل بان التنقيب هو عبارة عن مغامرة للبحث عن الكنوز الثمينة، للتجاره بها او لتزيين قصور الحكام والأثرياء، ومن ثم كانت اعمال التنقيب لتعباً البقايا غير الثمينة، وقد شهدت اغلب المواقع الأثرية المنقب فيها خلال هذه المرحلة انعكاس ايامها لما لحق بها من تخريب وتدمير، غير ان هذا المفهوم تغير خلال المرحلة الثانية، وبدأ التنقيب يأخذ الصبغة العلمية الصحيحة، فاصبح يبحث عن كل المخلفات المادية للحضارات السابقة، لا يفرق بين اناء من الطين وانااء من الفضة او الذهب، ولا يتوقف البحث الأثري عند المصنوعات الطينية فحسب بل يجمع حتى العظام، فقيمة المكتشفات حسب المفهوم الاول، كان يحددها الجانب المادي فيها، بينما في المفهوم الثاني اصبحت قيمة الاثر في قيمة ما يقدمه من معلومات تاريخية وفنية وثقافية وسياسية وغيرها من المجالات، ولما تغير مفهوم التنقيب الأثري، تغيرت معه الطرق والوسائل وظهرت المناهج التي تقنن وتؤسس لعمال الحفر، التي اصبحت يشترط فيها اول وقبل كل شيء ضمان سلامة الاثر،

وضمن تسجيل كل المعلومات المتعلقة باكتشافه، من تاريخ وموقع والطبقة التي كان متموضعا فيها وتصويره ورسمه ووضع مخططات له، اضافة الى توفير الحماية والحفظ والصيانة الكاملة له، منذ اللحظات الأولى لكشفه، بل منذ الضربة الاولى بالفأس في الموقع الى ان ينقل الى العرض او الى المخزن في المتحف

اهداف التنقيب الاثري :-

1-انقاذ الاثار : تهدف بعضالأعمال التنقيبية الى انقاذ الاثار التي تكون معرضة للأخطار من جراء بعض المشاريع التي تقام في محيطها، كأن تشق الطرق او تحفر القنوات او تبني الدور والمساكن او تشيد السدود وغيرها .

2-حماية الاثار :تهدف مختلف التنقيبات الى حماية الاثار، فأخطار التي تتعرض لها البقايا الاثرية المتواجدة في باطن الأرض لا تقل عن تلك التي تتعرض لها الاثار الموجودة فوق سطح الأرض.

3- دراسة الاثار : تعد المكتشفات الاثرية مخلفات مادية لحضاره من الحضارات ونتاج مجتمع من المجتمعات صنعها واستعملها في مختلف الاغراض، والأثري لما ينقب عنها ويدرسها لما لها من صلة وعلاقة بالانسان، فهي مرآة عاكسة له ومنها يمكن التعرف على قدرته الصناعية وذوقه الفني ومستواه الحضاري ولاقتصادي وافكاره ومعتقداته، فالمنقب لما يحفر فهو يبحث عن الإنسان عبر مختلف العصور، والكشف عن تاريخه ومساره الحضاري انطلاقا من المخلفات والبقايا الأثرية

4-تدريب الطلبة :تتألف العديد من فرق التنقيب من الطلبة، فهم من جهة يد عاملة متخصصة لا يخشى منها شيء على المكتشفات، ويكفي ان يكون معها مراقب وموجه له خبرة مسبقة، ومن جهة

اخرى لتدريبهم وتعليمهم على اعمال الحفر وطرق تنفيذه لكسبهم الخبرة الكافية وتأهيلهم لقيادة اعمال تنقيب مستقلة في مواقع اثرية مختلفة .

عوامل اندثار المباني وتشكل المواقع الاثرية :

1- العوامل الطبيعية : تلعب العوامل الطبيعية الدور الكبير في اندثار المباني واختفائها، كالفيضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والرياح والزوابع المحملة بالرمال، التي تترسب وتتراكم فوق المعالم الأثرية الى ان تغطيها كاملة او جزئياً، كما ان في فيضان الأنهار خطراً على المدن التي اقيمت على ضفافها، وقد يتغير مجراها فتغمر مياهها المدن التي امامها، وتهجر المدن التي كانت مقامة على ضفافها في المجرى الاول، ونفس الحال بالنسبة للمدن والمباني التي تقام على شواطئ البحار، فهذه قد ترفع مستوى مياهها بسبب المد والجزر والأعاصير والزلازل والبراكين، فتختفي المدن الساحلية .

2 -العوامل البشرية:لا تقل العوامل البشرية خطورة عن العوامل الطبيعية، فهي تساهم مساهمة كبيرة في خراب المدن واندثار معالمها، فقد يلجأ الإنسان الى بقايا مباني قديمة فيقتلع احجارها واعمدتها، ليعيد استعمالها في بناء مدنه الجديدة، وقد يختار مواقع تلك المدن فيهيئها ليشيد فوقها مبانيه، وقد حدث هذا اكثر من مرة، . كما ان الإنسان يلجأ احيانا الى اعادة بناء بعض المعالم الدينية كالمعابد والمساجد، وتجديدها لقداسة موقعها -كجامع

القيروان الذي جدد في عهد الأغالبة كلياً ما عدا المحراب الذي احتفظ به

3-العوامل الاقتصادية : لقد دأب الإنسان منذ القدم على اختيار مواقع للاستقرار وبناء المدن فيها، لما توفره له من موارد طبيعية مختلفة تساعده في نمو اقتصاده وتطويره، غير انه قد تتغير الظروف وتنقطع الموارد فيهجر الإنسان المكان ويرحل الى مكان اخر، فقد تبنى مدينة على ضفاف نهر ثم يغير النهر مجراه فيؤثر هذا سلبياً على اقتصاد المدينة ويدفع اهله للهجرانها، وقد ينتشر فيها وباء خطير او يطالها الجفاف والقحط فتنتشر المجاعة والفقر، ومن ثم يضطر اهله الى الرحيل عنها للبحث عن الرزق في اماكن اخرى.

4-العوامل السياسية : للعوامل السياسية هيا أخرى دور كبير في خراب المدن واندثارها نتيجة الحروب، فكثيراً ما يتحصن الإنسان داخل اسوار مدنه وقلعه وحصونه، فيضطر العدو المهاجم الى ضرب السوار ودكها وقد يهدمها ويحرقها بعد فتحها، ويقتل اهله ويجلبهم عنها، واحياناً يبني الحكام مدينة ويتخذونها عاصمة بدل من العاصمة الأولى ، فيهجروا الناس الى العاصمة الجديدة.